مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد 10 / العدد: 02 (2023)، ص: 69-99

الخصائص البلاغية في سورة الكوثر -دراسة وصفية تحليلية-

Rhetorical characteristics in Surat Al-Kawthar -Analytical descriptive study

ط.د حسانة مزرق [1]، أ.د سهام مادن [2]

[1] كلية العلوم الإسلامية-خروبة ، الجزائر، hassana.mez@gmail.com

[2] كلية العلوم الإسلامية -خروبة، الجزائر، madenesihem@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/10 تاريخ القبول: 2023/05/15 تاريخ النشر: 2023/06/04

ملخص:

يعد النص القرآني ذو بناء نظمي عجيب، وذو أسلوب بياني فريد، ينبئ عن سموه ويشير إلى إعجازه، لذلك كان هدف البحث اختيار سورة الكوثر للدلالة على قيمة وأهمية بلاغة هذا النص وروعة أساليبه وتنوع تصاويره وتناغم بديعه.

وسلكت في ذلك منهجا يبدأ بالتعريف بالسورة، ثم ذكر الخصائص في الكلمة ثم الجملة وتليها الجمل والصور البيانية والمحسنات البديعية، وأردتها أن تكون دراسة تحليلية تذوقية، تجعل القاعدة هي الأساس والركيزة لتذوق بلاغة النص القرآني، وإيقاظ ذهن القارئ واستثارته لكشف خبايا هذا النص وسبر أغواره، وتوصلت إلى ثلاث نتائج رئيسية: دقة انتقاء اللفظ القرآني وتنوع صيغه، التناغم الإيقاعي الحاصل بين حروف الألفاظ والكلمات في الجملة الواحدة، إسهام البناء التركيبي بمختلف أساليبه، وصوره البيانية وتحسيناته البديعية في إبراز الصورة والمعنى في دقة متناهية وبلاغة راقية.

كلمات مفتاحية: الخصائص؛ البلاغة؛ الكوثر؛ التفسير؛البيان.

Abstract: The Qur'anic text has a strange systemic structure, and a unique graphic style, that informs about its highness and indicates its miracles, so the research goal was to choose Surat

Al-Kawthar to indicate the value and importance of this text's eloquence, the splendor of its methods, the diversity of its images, and the wonderful harmony.
In this regard, I took a methodology that begins with defining the surah, then mentioning the characteristics in the word, then the sentence, followed by sentences, graphic images, and creative improvements. And I reached three main results: the accuracy of the selection of the Qur'anic expression and the diversity of its formulas, the rhythmic harmony that occurs between the letters of the utterances and words in one sentence, the contribution of the compositional structure in its various methods, its graphic images and its creative improvements in highlighting the image and meaning in a very precise and elegant rhetoric.
Keywords: Properties; rhetoric; Kawthar; interpretation; statements.

***المؤلف المرسل:** مزرق حسانة

1. مقدمة

الحمد لله خالق الأكوان منشئ الإنسان معلمه البيان تمييزا به عن الحيوان والصلاة السلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الكرام الطاهرين وبعد:

امتاز النص القرآني بالأسلوب البياني المعجز، والبناءء النظمي المحكم، مما جعل منه محطة للدارسين والباحثين قديما وحديثا، لسبر أغوار هذا النص والكشف عن جماليات تصاويره وتراكيبه، وسورة الكوثر لا تقل أهمية عن باقي السور فهي التي أعجزت العرب عن الإتيان بمثلها رغم تمكنهم من البيان وقوة اللسان، فقد تبين من خلالها الإعجاز الرباني والسمو البياني.

ونحن هنا نطرح الطرح العلمي القائل: **ما قيمة السورة من الناحية البلاغية وهل فيها دلالة على سمو النص القرآني وإعجازه البلاغي؟**

ولما قرأت فيمن كتبوا في إظهار الخصائص البلاغية للسور القرآنية من الأوائل والمتأخرين وتأثرت بكتابتهم، أحببت أن أنهج منهجهم في إجلاء خصائص البلاغة القرآنية في سورة الكوثر.

ومن هذا المنطلق لزم في هذه الورقة البحثية تبيين الجانب البلاغي للنص القرآني الذي قام بتصويره العلماء في تفاسيرهم والمحدثون في كتبهم والباحثين في رسائلهم، والهدف منه بيان أهمية السورة وقيمتها البلاغية.

وقد اتبعنا منهج الوصف التحليلي أداة لبيان مظاهر البلاغة القرآنية في السورة وقيمتها وأهميتها من خلال محاور رئيسية هي: التعريف بالسورة وتاريخ نزولها وتسمياتها وعدد آياتها ومضامينها، ثم تتبع الظواهر البلاغية فيها وبيان تأثيرها في المعنى حسب المقدرة والاستطاعة المعرفية والإمكانيات والآليات العلمية.

2. التعريف العام بسورة الكوثر

1.2 أسباب النزول وموضعه

سبب النزول المقصود به " ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه"(نور الدين عتر، 1993، ص4)، عَنْ يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: "**قَامَ رَجُلٌ إِلَى الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: سَوَّدْتَ [ص:445] وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: لَا تُؤَنِّبْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ [الكوثر: 1] يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي نَهْرًا فِي الجَنَّةِ، وَنَزَلَتْ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ [القدر: 1-3] يَمْلِكُهَا بَعْدَكَ بَنُو أُمَيَّةَ يَا مُحَمَّدُ "قَالَ القَاسِمُ، فَعَدَدْنَاهَا فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ**"(الترمذي، 1975، 444/5)، وقال الترمذي حديث غريب لم

يروى إلا من هذا الوجه، وذكر الألباني أنه ضعيف الإسناد مضطرب ومتنه منكر، وذكر ابن عاشور أن حذاق الأهل العلم اتفقوا على أنه حديث منكر صرح بذلك ابن كثير وذكره عن شيخه المزي، لأن فيه اختلال في المعنى، والوضع فيه بين وواضح، والاحتجاج به لا يليق لما زعموه من الملازمة بين رؤيا النبي ودفع الحسن التأنيب عن نفسه، لأن المدة بين تسليم الحسن الخلافة إلى معاوية وبين بيعة السفاح وهو أول خلفاء العباسية ألف شهر واثنان وتسعون شهرا أو أكثر بشهر أو بشهرين فما نسب إلى القاسم الحداني من قوله: فعددناها فوجدناها إلى آخر مقاله كذب (ابن عاشور، 1984، 460/30)، إذن فالحديث يمتنع أن يكون سبب نزول الآيات.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: "بَيْنَما رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِإِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الكوثر: 3] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ"(مسلم، د.ت، 30/1).

اختلف في السورة في كونها مكية أم مدنية بسبب تعارض الآثار والأقوال تعارضا شديدا، فهي مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين وهو قول ابن عباس وابن الزبير وعائشة، وهي مدنية وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة، ومقتضى ما يروى في تفسير قوله تعالى: إن شانئك هو الأبتر أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى: وانحر من أن النحر في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية.

والسورة كما ذكر المفسرين نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص بن وائل قالوا: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال ذلك الأبتر دعوه، فإنه رجل لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، وكان في تلك الأيام قد توفي عبد الله بن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، (وقيل: ولده إبراهيم)، كما ذكروا أنها نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذهب أبو لهب إلى المشركين، فقال: بُتِر محمد الليلة، فأنزل الله في ذلك: **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** (الهرري، 2001، 375/32).

قال الزحيلي:" والخلاصة: كان سبب نزول هذه السورة هو استضعاف النبي صلى الله عليه وسلم، واستصغار أتباعه، والشماتة بموت أولاده الذكور، ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة، والفرح بوقوع شدة أو محنة بالمؤمنين، فنزلت هذه السورة إعلاما بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قوي منتصر، وأتباعه هم الغالبون، وأن موت أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم لا يضعف من شأنه، وأن مبغضيه هم المنقطعون الذين لن يبقى لهم ذكر وسمعة، البعيدون عن كل خير"(الزحيلي، 30،1418/431).

2.2 تسميات السورة وعدد آياتها

للكوثر تسمية واحدة ذكرها البقاعي في تفسيره وهي النحر قائلا:" وتسمى النحر، مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون، واسمها الكوثر واضح في ذلك وكذا النحر لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب" (البقاعي، د.ت، 287/22).

أما عدد آياتها فهي " مَكِّيَّة وَقد ذكر نظيرتها فِي جَمِيع الْعدَد، وكلمها عشر كَلِمَات، وحروفها اثْنَان وَأَرْبَعُونَ حرفا، وَهِي ثَلَاث آيَات فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف"(الداني، 1994، ص292).

3.2 مضامين السورة

كان المشركون حينما يرون النبي والمسلمين في قلة من العدد وقلة من المال يستخفون بهم ويهونون من شأنهم ظانين أن الحق والخير إنما يكون مع المال والغنى وكثرة العدد، فنزلت السورة تبين ما عليه النبي صلّى الله عليه وسلّم وما أعطى من الخير الكثير في الدنيا والآخرة والنعم الجليلة من كل شيء من الأعيان والمعاني من العلم والعمل وغيرهما من معادن الدارين ومعاونهما الخير الذي لا غاية له ، فاجتمع له الغبطتان: أشرف العطاء من أكرم المعطين وأعظمهم، ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصر مما لا يناسب أدناه نعيم الدنيا بجملتها، قال مبيناً له منبهاً على عظيم ما أعطاه بالأمر بالصلاة والنحر تأدية للشكر على هذا العطاء، وأن ما سيؤول إليه حال حاسديه ومبغضيه هو الانقطاع عن كل خير، ولعلنا نعتبر بذلك ونرضى(الحجازي،1413، 910/3، البقاعي، د.ت، 288/22).

3. الخصائص البلاغية في سورة الكوثر

1.3 خصائص الكلمة في السورة

أولا: دقة انتقاء اللفظة ومناسبتها للسياق

لقد من الله على بني آدم بنعمة البيان مصداقا لقوله تعالى **الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** [الرحمن:1-4]، فقد تحدى العرب فيما هم ضالعون فيه؛ ألا وهو البيان واللغة، فعرض عليهم في آياته البينات تحدي الإتيان بلفظ منه إن قدروا على ذلك وهم أرباب البلاغة والفصاحة، فعجزوا عن ذلك، ومعلوم أن العرب كانت تدقق في اختيار اللفظ

الذي يحمل المعنى والمقصد الكامن في نفوسهم وعقولهم، فقوة اللفظ لقوة المعنى، وحسنه يبرز جمال الثاني، وهذا مظهر من مظاهر الدقة في انتقاء الألفاظ اختيارها في الأسلوب القرآني، فهو يراعي الفروق الدلالية بين الألفاظ ويضعها في مكانها بحيث تؤدي معناها في دقة عالية وبلاغة راقية تحسب أنك تستطيع لها إتيانا بما أُعطيته من بلاغة وبيان فتعجز، لأن كل لفظ فيه لا يمكن تبديله ولا تحويله معجزة القرآن الخالدة أبد الزمان.

يقول ابن عطية في هذا المقام:" والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام"(ابن عطية، 1422، 52/1).

أ-ماسر إيثار لفظة الإعطاء على الإيتاء في الأسلوب القرآني؟

الإعطاء في اللغة يطلق على الإنالة، قال ابن فارس:" العين والطاء والحرف المعتل أصل واحد صحيح يدل على أخذ ومناولة... قال امرؤ القيس:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ(امرئ القيس، 2004، ص45)...قال الخليل: ومنه اشتق الإعطاء"(ابن فارس،1979، 353/4).

ولفظ الإيتاء يكون أوسع استعمالا من الإعطاء، ذلك أنه يستعمل في الأمور المادة والمعنوية والجليلة العظيمة بما لا يحسن فيه لفظ الإعطاء، منها أن الإيتاء يحتمل أن يكون واجبا أو تفضلا بخلاف الإعطاء فإنه بالتفضل، كأنه قال: إنا

أعطيناك الكوثر أي: هذه الخيرات الكثيرة تفضلا منا لا على سبيل الاستحقاق والوجوب، وفي هذا معنيين: أن الكريم إذا رُبِيّ على التفضل فهو لا يبطله بل يزيد فيه، بخلاف ما يكون سببه الاستحقاق فيكون بقدر ويكون فعل الإنسان فيه متناه، فيكون الاستحقاق الحاصل بسببه متناهيا، أما التفضل فإنه نتيجة كرم الله وهذا الأخير غير متناه، فيكون تفضله أيضا غير متناه، فلما دل قوله: أعطيناك على أنه تفضل لا استحقاق أشعر ذلك بالدوام والتزايد أبدا(السامرائي، 2002، ص78، الرازي،1996، 312/32).

كما أن الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطاوع- "أي: فعل يدل فاعله على الاستجابة وقبول الأثر، مثل: انجذب"(أحمد مختار،2008، 32/1) - لأنك تقول : أعطاني فعطوت، كقولك: أطلقته فانطلق، ولا يصلح في الإيتاء قولك: آتاني فأتيت بل فأخذت، فالإعطاء أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي ل امطاوع له؛ لأنك تقول أزعجته فانزعج فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول في المحل لولاه ما ثبت المفعول ولهذا يصح أزعجته فما انزعج ولا يصح فيما لا مطاوع له كقولك: ضربته فانضرب أو فما انضرب لأنها أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها فالإيتاء هنا أقوى من الإعطاء.

لذلك قال الله عز وجل: **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** [الحجر: 87] ولم يقل: ولقد أعطيناك سبعًا من المثاني، لعظم شأن القرآن، فإنه لا يجوز للنبي أن يكتم شيئا منه، ولأن الإعطاء يستعمل في القليل والكثير، قال الله تعالى: وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى [النجم: 34] أما الإيتاء، فلا يستعمل إلا في الشيء العظيم، قال الله تعالى: **وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ** [البقرة: 251]، ثم إن الإعطاء غالبا ما يفيد التمليك، ولما كان كذلك وجب اختصاصه بصاحبه أي :يتصرف فيه كيف يشاء يعطي أو يمسك، والدليل ماحكي عن سليمان عليه السلام في

قوله تعالى: **وَهَبْ لِي مُلْكًا** [ص: 35] فقال عزوجل: **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ** [ص: 39] ولهذا السبب من حمل الكوثر على الحوض قال: الأمة تكون أضيافا له، أما الإيتاء فإنه لا يفيد الملك، كما أن الشركة في القرآن شركة في العلوم ولا عيب فيها، أما الشركة في النهر، فهي شركة في الأعيان وهي عيب، لذا حسن استعمال الإيتاء بدل الإعطاء.

أما الإعطاء في الآية: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** [الكوثر: 1] لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمته يرِدون على الحوض ورودَ النازل على الماء، ويرتحلون إلى منازل العز والأنهار الجارية في الجنان، لأنه يترك ذلك وينتقل إلى ما هو أعظم منه(السامرائي، 2002، 79-80،الرازي، 1996، 312/32، السيوطي،1974، 367/2، الإعجاز اللغوي في القرآن، ص253).

قال البقاعي في هذا المقام: "وأكد لأجل تكذيبهم: "أعطيناك" أي: خولناك مع التمكين العظيم، ولم يقل: آتيناك، لأن الإيتاء أصله الإحضار وإن اشتهر في معنى الإعطاء"(البقاعي، د.ت، 288/22).

ب- ماسر إيثار لفظة النحر على غيرها من المفردات كالتضحية ونحوه؟

لم يقل: فصل لربك وآتي الزكاة؛ لأنه إذا كان المراد من الصلاة صلاة العيد، فالأمر ظاهر بيّن، وأما من حمله على مطلق الصلاة، فلوجوه أحدها: أن الصلاة والقرابين عند المشركين كانت للأوثان فأمر بجعلهما لله، وثانيها: أن النبي عليه الصلاة والسلام لم تجب عليه الزكاة لأنه لم يملك نصابها ووجب عليه النحر لقوله: " **ثَلَاثٌ كُتِبَتْ عَلَيَّ، وَلَمْ تُكْتَبْ عَلَيْكُمْ: الضُّحَى، وَالْأَضْحَى، وَالْوِتْرُ**"(ابن الملقن، 2004، 275/9)، والثالث: أن أعز الأموال عند العرب هو الإبل فأمره بنحرها وصرفها إلى طاعة الله تعالى، كما أن الزكاة تجب مرة في العام بخلاف النحر فقد أطلق ولم يخصص بوقت.

وعدم قوله: "ضح" لأن التضحية تعم كل الأنواع الإبل والبقر والغنم وإن كانت مجزئة، ولكنه طلب التصدق بأكرم ما عنده ألا وهي الإبل، ثم إن التضحية مختصة بوقت معين بخلاف النحر فغير مقيد بوقت فكان أوسع في الصدقة، كما أن الصلاة أعظم العبادات البدنية فقرن بها أعظم أنواع الضحايا، كما أنه يرشح إيثار النحر رعي فاصلة الراء في السورة (السامرائي، 2002، 1/89-90، الرازي، 1996، 32/319-320، ابن عاشور، 1984، 30/575).

ثانيا: جرس اللفظة وإيقاعها

الجرس في اللغة يطلق على الصوت وقيل: الصوت الخفي قال الخليل:" الجرس: مصدر الصوت المجروس، والجرس: الصوت نفسه. وجرست الكلام: تكلمت به. وجرس الحرف: نغمة الصوت "(الخليل، د.ت، 6/51).

لقد اهتم العلماء قديما وحديثا بالسمات التعبيرية للحروف ودلالتها الصوتية، حيث أن هذه الحروف لها مخارج ومقاطع مختلفة تؤثر على جرس الحرف وصوته، كما تؤثر الصفة التابعة له من همس وغيره على نغمه وتناسبه في السياق(ابن جني،د.ت،6-9) ،قال الجاحظ: "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"(الجاحظ، 1423، 1/84) ، وجرس الكلمات صوتها ونغمة حروفها التي التأمت وقت النطق بها.

والجرس والإيقاع والنغم ثلاثة ألفاظ متلازمة، فالجرس فعل الصوت وحركته، والإيقاع هو نتيجة هذا الفعل وصداه وأثره، والنغم هو التناسق الحاصل من تأليف هذه المقطوعة الكلامية وانبعاث أصواتها من خلال هذه حروف هذه الألفاظ.

والجرس اللفظي وإيقاعه قد يكون بتصوير اللفظ نفسه، أو بتناسقه الفني في الجملة أو الجمل، و نحن هنا متحدثون عن الفاصلة القرآنية التي هي:" حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"(السيوطي،1974، 3/ 332)، فهي : "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"(الزركشي،1957، 53/1).

فمن حيث الإيقاع والجرس فبكل فاصلة يكتمل التناسق الصوتي والإيقاعي للآية، **ففي سورة الكوثر** نلحظ تماثل الفواصل القرآنية بحيث تنتهي بحرف واحد هو الراء؛ الأمر الذي أعطى السورة نغما إيقاعيا متشاكلا من البداية إلى النهاية، فصوت الراء قد تكرر في السورة القرآنية لينبه إلى أهمية كلمة العطاء فقد قال أعطيناك الكوثر ليدل على عظم هذا المنح وشرفه، ثم أردفه بالصلاة والنحر أي: الشكر على هذه النعم وصرفها لله تقربا وتزلفا ثم أعقبه بأن شانئك هو الأبتر أي: مبغضك مقطوع من أصله ونسله منقطع من كل خير وبركة وذكر، وأنت الموصول الأمر، النابه الذكر، المرفوع القدر، فلا تلتفت إليهم بوجه من الوجوه ، فالتنبيه إلى الحرف المكرر في بناء السورة؛ المراد منه لفت الذهن إلى موقعه، وليس الأمر مجرد تكرار حرف(الإعجاز اللغوي، ص113، البقاعي، د.ت، 291/22).

كما أن اختيار لفظ أعطى بدل أتى رغم تقاربهما لفظا ومعنى، فآتى أصله "أأتى" بهمزتين ثم أبدلت الهمزة الساكنة بألف، فهي تقابل العين في الفعل "أعطى" والتاء تقابل الطاء فهما متقاربان إذن من الناحية الصوتية، غير أن الهمزة والعين وإن كان من حروف الحلق فالهمزة أقوى من العين، والتاء والطاء مخرجهما واحد غير أن التاء مهموسة يتهيأ لك أن تنطق به فيسمع منك خفيا وظاهرا والطاء لها صفة الجهر لا يتهيأ النطق به إلا كذلك.

فاستعمال الفعلين في اللغة العربية موافق لبنائهما الصوتي، فآثر القرآن استخدام الإتيان في قوله: **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا**

عَظِيمًا [النساء:54]، لما هو أقوى وأوسع أي: الملك والحكمة، لما كانت الهمزة أقوى من العين، ولما كانت التاء حرف مهموس هو يسمع مجهورا وخفيا فاستعمل لما هو ظاهر وخفي، فالظاهر إيتاء المال في قوله تعالى: **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى** [البقرة:177]، والخفي إيتاء الحكمة والرحمة والرشد في قوله تعالى: **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** [الكهف:65]، في حين أن الطاء لما كان حرفا مجهورا استعمل فيما هو ظاهر فكان الفعل أعطى أظهر في النطق من الفعل آتى فكان استعماله في الأمور الظاهرة أكثر، فبناء الكلمة الصوتي موافق للمعنى الذي استعملت له(السامرائي، 2002، 1/77-78).

ثالثا: هيئة اللفظة وصيغتها

إنّ المتأمل في النظم القرآني يجده يستخدم اللفظ ويراعي كيفية بنائه ووزنه، ليناسب المعنى التي تؤديه الكلمة في النظم بدقة متناهية وبلاغة عالية، وهيئة اللفظ وصيغته المقصود بها ما يطرأ على الكلمة من تحولات في البناء والاستعمال كاسم الفاعل والمفعول والمصدر ونحوه، والإفراد والتثنية والجمع والتعريف والتنكير والتقييد والإطلاق والتعبير بالماضي بدل المستقبل وعكسه.

أ-صيغ الأفعال

يعرف الفعل بأنه ما دل على معنى في نفيه مقترن بزمن، وقد قسم إلى ثلاثة أقسام: الماضي والمضارع والأمر(الكفراوي، د.ت،ص13)، والفعل يأتي لتقييد الحديث بالأزمنة الثلاثة قال السبكي :" الفعل يدل على التجدد ماضيا كان أم مضارعا أم أمرا، غير أن التجدد الذى يدل عليه الماضى المراد به الحصول، والمضارع يدل على التجدد بمعنى أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى"(السبكي، 2003، 1/316).

في قوله: أعطيناك عدل ولم يقل: سنعطيك لأن قوله: أعطيناك يدل على أن هذا الإعطاء كان حاصلا في الماضي إشعارا بتحقق وقوعه، وفيه أيضا تعظيم

للإعطاء ، وأنه غير منقطع ومستمر إلى الآخرة، وفيه فائدة وهي أن من كان في الزمان الماضي أبدا عزيزا مرعي الجانب مقضي الحاجة أشرف ممن سيصير كذلك، ولهذا قال عليه السلام: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»(الرازي، 1996، 311/32، السامرائي، 2002، 81/1).

قال السمين الحلبي: "إيرادُه بصيغةِ الماضي تحقيقاً لوقوعِه كقوله: ڈ ڈ] [النحل: 1]"(السمين الحلبي، د.ت، 128/11)، وقال الصابوني:" صيغة الماضي المفيدة للوقوع "أَعْطَيْنَاكَ" ولم يقل: سنعطيك لأن الوعد لما كان محققاً عبَّر عنه بالماضي مبالغة كأنه حدث ووقع"(الصابوني، 1997، 586/3).

ب- أبنية الأسماء المشتقة

يعرف الاسم بأنه ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن (الكفراوي، د.ت، ص13) ، والاسم لا يفيد معنى التجدد كما الحال في الفعل لعدم اقترانه بزمان معين، بل يفيد في أصل الوضع مطلق الثبوت والاستمرار(الدسوقي، د.ت، 26/2).

والمشتق كل اسم مأخود من الفعل وهو:" هو ما أُخذ من غيره؛ بأن يكون له أصل ينسب له، ويتفرع منه"(عباس حسن، د.ت، 182/3)، و المشتقات في الأسماء هي ما نعرفه باسم الفاعل والمفعول وأسماء الزمان والمكان والصفة المشبهة، ومصدر المرة، والمصدر الميمي، وصيغة المبالغة.

نلمح لفظ المبالغة في كلمة "الكوثر" و تعني الخير الكثير من كل شيء، ومنه القرآن والإسلام، وهو فوعل من الكثرة، والواو زائدة كنوفل من النفل، وجوهر من الجهر، والكوثر في غير هذا يطلق على الرجل المعطاء السخي، قال الكميت الأسدي: **وَأَنْتَ كَثِيْرٌ يَا بْنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وَكَانَ أَبُوْكَ ابْنَ العَقَائِلِ كَوْثَرَا** (الهرري، 2001، 385/32، ابن خالويه، 1941، ص20)

قال ابن عاشور: "والكوثر: اسم في اللغة للخير الكثير صيغ على زنة فوعل، وهي من صيغ الأسماء الجامدة غالبا نحو الكوكب...ولا تدل في الجوامد على غير مسماها، ولما وقع هنا فيها مادة الكثر كانت صيغته مفيدة شدة ما اشتقت منه بناء على أن زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى، ولذلك فسره الزمخشري بالمفرط في الكثرة، وهو أحسن ما فسر به وأضبطه"(ابن عاشور، 1974، 30/572-573).

وقد قال الكوثر ولم يقل الكثير لأن الكوثر يكون صفة للمبالغة فنقول رجل كوثر أي: كثير العطاء، ويكون ذات موصوفة بكثرة الخير، بخلا فالكثير فهو يفيد الكثرة فقط من غير شيء محدد، ولم يقل أيضا الكيْثر على وزن فيعل كصيرف، لأن الواو أقوى من الياء فأعطى الأقوى لقوة الوصف(السامرائي، 2002، 83/1).

وعبر في قوله: إن شانئك" باسم الفاعل للدلالة على الثبوت والدوام ، أي: أن مبغضك هو الأبتر المقطوع عن كل خير عام، وشانئ من شئ كتعب ، ويقال: شنئت بالأمر اعترفت به، قال الأعمش:

وَمِنَ شَانِيءٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتَ لَهُ أَنْكَرَنْ (الهرري، 2001، 32/385، ابن خالويه، 1941، ص221)

"واسم الفاعل أعني شانيء هاهنا قيل بمعنى الماضي ليكون معرفة بالإضافة فيكون الأبتر خبره ولا يشكل بمن كان يبغضه عليه الصلاة والسلام قبل الإيمان من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم هداه الله تعالى للإيمان، ولم يكن أبتر لما أن الحكم على المشتق يفيد علية مأخذه فيفيد الكلام أن الأبترية معللة بالبغض فتدور معه، وقد زال في أولئك الأكابر رضي الله تعالى عنهم، واختار بعضهم في دفع ذلك حمل اسم الفاعل على الاستمرار فهم لم يستمروا على البغض" (الألوسي،1415، 15/482).

في التعبير باسم الفاعل في الأبتر دون المفعول المبتور لأن فيه ما لا يخفى من المبالغة والتعميم في كل من جزأي الجملة؛ معناه: إنه سبحانه يبتر شانىء رسول الله من كل خير فيبتر أهله وماله وحياته وقلبه و أنصاره وأعماله جزاء كل من شنأ ما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلم لأجل هواه (الألوسي،1415، 482/15).

ثم إن صفة الأبتر دالة على الثبوت كالأسمر والأصلع بخلاف المبتور فيه دالة على الحدوث فقد ينقطع البتر(السامرائي،2002، 95/1) ، قال السمين الحلبي:" تعريفُ الأبترِ ب أل المُؤْذِنَةِ بالخصوصيَّةِ بهذه الصفةِ، كأنه قيل: الكامِلُ في هذه الصفةِ الحادي ..(ثم) الإتيانُ بصيغة أَفْعَل الدالَّةِ على التناهي في هذه الصفةِ"(السمين الحلبي، د.ت، 129/11).

ج- الجمع والإفراد

الإتيان بصيغة الجمع الدالة على التعظيم في قوله: "إنا أعطيناك" ولم يقل أعطيتك، لأن إنا تارة يراد بها الجمع وتارة يراد بها التعظيم، ففي التعبير الأول فقد دل الدليل على أن الإله واحد، فلا يمكن حمله على الجمع، إلا إذا كان المراد من العطية مما سعى في تحصيلها الملائكة والأنبياء المتقدمون، حين سأل إبراهيم ربه، فقال: **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ** [البقرة: 129].

وفي التعبير الثاني: وهو حمله على التعظيم، للتنبيه على عظمة العطية لأن الواهب هو الله والموهوب منه هو المشار إليه بكاف الخطاب أي: الكوثر، وهو ما يفيد المبالغة في الكثرة، ولما أشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب منه والموهوب، فما أجل هذه النعمة وأعظمها، ويا له من تشريف ما أعلاه(الرازي،1996، 310/32).

قال الهرري في هذا المقام:"صيغة الجمع الدالة على التعظيم في"إنَّا أَعْطَيْنَاكَ" تفخيمًا لشأن المعطى له، حيث لم يقل: أنا أعطيتك"(الهرري، 2001، 387/32).

د-التنكير والتعريف

التعريف في الكوثر،هو" تعريفُه بأل الجنسيةِ الدالَّةِ على الاستغراق" (السمين الحلبي،د.ت، 128/11)، أي:استغراق جميع أجناس العطايا من الخير الكثير من خير الدارين الذي لم يُعْطَه أحد غيرك من العالمين، فقد أصبت به شرف العطاء وعِظم المعطي والمنعم.

هـ-التقييد والإطلاق

إطلاق الإعطاء وعدم تقييده في قوله: أعطيناك، فجعل المفعول الأول ضمير المخاطب، دون وصف الرسول أو ما يسد مسده من أوصاف؛ إشعارا بأن العطاء غير معلل بل هو محض الاختيار والمشيئة، وفيه تعظيم وتشريف للنبي عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى(الألوسي، 1415، 480/15).

قال الرازي:" قال: أعطيناك ولم يقل أعطينا الرسول أو النبي أو العالم أو المطيع، لأنه لو قال ذلك لأشعر أن تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف، فلما قال: أعطيناك علم أن تلك العطية غير معللة بعلة أصلا بل هي محض الاختيار والمشيئة، كما قال: **نَحْنُ قَسَمْنَا** [الزخرف: 32]، **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ** [الحج: 75]"(الرازي، 1996، 32/311-312).

2.3 خصائص الجملة في السورة

أولا: الجملة الخبرية

قوله:"إنا أعطيناك الكوثر"، صدر الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبيء صلى الله عليه وسلم، وأريد بالخبر بشارة النبي عليه الصلاة والسلام وإنشاء

العطاء لامساق الإخبار بعطاء سابق، وإزالة ما عسى أن يكون في خاطره من قولهم أبتر فقوبل بمعنى الكوثر إبطالا لزعمهم، وأسند الفعل إلى ضمير العظمة المشعر بالامتنان بعطاء عظيم، وتوكيده يفيد أن هذا العطاء لا يستطيع أحد أن ينزعه منه ويسلبه إياه، والله خصه به، وفي التعبير بالجملة الفعلية بصيغة الماضي أن العطايا الأخروية وأكثر ما يكون في الدنيا لم تحصل بعد إشعارًا بتحقق وقوعها(ابن عاشور، 1974، 30/572-753، الرازي، 1996، 32/311، السامرائي، 2002، 1/77).

ثانيا: الجملة الإنشائية

قوله: "فصل لربك وانحر"، أمرله بالداوم على إقامة الصلوات المفروضة، ونحر البدن من خيار أموال العرب وأعزها، وجعلهما لله عزوجل دون غيره، وغرضه تسلية الرسول عن صد المشركين إياه عن البيت في الحديبية، فخبره بأنه منحه عطاء وفير وخيرا كثير، وسر التعبير بالأمر في هذا المقام إظهار مدى أهمية مقابلة هذا العطاء الكثير بالاشتغال بالطاعات (ابن عاشور، 1974، 30/574، الشوكاني،1414، 5/614-615).

ثالثا: التقديم والتأخير

كما قدم الصلاة على النحر لأن الصلاة أهم من النحر فهي ركن من أركان الإسلام وأجل العبادات وأعظمها وعمود الدين وركيزته، كما أن الصلاة أعم من النحر فهي تقام خمس مرات في اليوم بخلاف النحر، والصلاة حق لله والنحر حق لله والعباد والأول مقدم على الثاني لأهميته، وإذا كان المقصود منها صلاة العيد قدمت لذلك ولو أن الأولى إطلاق النحر والصلاة ليكون أدل على الشكر (السامرائي، 2002، 1/91-92).

رابعا: القصر

القصر في قوله :"إن شانئك هو الأبتر" هو قصر بضمير الفصل، لأن في اشتمال الكلام على صيغة قصر وعلى ضمير غائب وعلى لفظ الأبتر مؤذن بأن المقصود به الرد على كلام معين صدر، والحكاية كما رواها الواحدي عن ابن عباس أن العاص بن وائل السهمي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المسجد فتحدث معه وأناس من قريش هناك فلما دخل العاص عليهم سألوه مع من كان يتحدث فأجابهم مع ذلك الأبتر، وكان قد توفي للنبي عليه الصلاة والسلام عبد الله فانقطع بموت عبد الله الذكور من ولده صلى الله عليه وسلم يومئذ، وكانوا يصفون من ليس له ابن بأبتر فأنزل الله هذه السورة.

فالمقصور هوالأبتر، والمقصور عليه شانىء النبيء صلى الله عليه وسلم ، فنوع القصر باعتبار طرفيه من قصر الصفة على الموصوف، وباعتبار الحقيقة والواقع قصر إضافي وهوقصر قلب لأنه جاء ردا على مزاعمهم، وطريق القصر هو قصر المسند على المسند إليه بضمير الفصل، أي هو الأبتر لا أنت(الميداني،1996، 544/1، ابن عاشور، 1974، 575/30-576).

3.3 خصائص الجمل في السورة

أولا: مخالفة مقتضى الظاهر

أ-الالتفات من التكلم إلى الغيبة

لقد كان الأصل أن يقول إنا أعطيناك الكوثر فصل لنا لكنه عدل عن التكلم إلى الغيبة لفوائد جمة:

أن الصلاة تختص بالله والمعطي لفظ مطلق فلما أعطى استحق الشكر لا الصلاة فلو قال فصل لنا لتوهم أنه استحق الصلاة لعطائه فأزال الالتفات هذا الوهم، أن ضمير العظمة (نا) يفيد اشتراك ضمير المتكلمين فعدل عنه ليدفع توهم الاشتراك، كما أن في اختيار لفظ الرب وإضافته إلى ضمير الخطاب فيه من

التكريم والتخصيص مالايخفى، وهو مناسب للعطاء الذي منحه(الرازي، 1996، 319/32، السامرائي، 2002، 1/86-87).

قال ابن عاشور:"والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: فصل لربك دون: فصل لنا، لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلا عن فرط إنعامه"(ابن عاشور، 1974، 574/30).

وروعة الالتفات تكمن في أنه:" تلوينٌ للنظم من بابٍ إلى بابٍ جارٍ على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلَكِ البراعة حسبما يقتضي المقام لما أن التنقلَ من أسلوب إلى أسلوب أدخلُ في استجلاب النفوسِ واستمالةِ القلوب "(أبو السعود، د.ت، 16/1).

ب- أسلوب الحكيم

قوله: هو الأبتر؛ جواب من الأسلوب الحكيم من نوع المُخاطب المُتلقّي كلامًا غير الذي أراد تنبيها على أنّه القصد وأولى بالاهتمام، والغرض منه التكريم والتشريف لأنهم لما وصفوه بالقلة والذلة قلب الله الأمر عليهم فأعزه وأذلهم، قال ابن عاشور:"ولكن لما كان وصف الأبتر في الآية جيء به لمحاكاة قول القائل: «محمد أبتر» إبطالا لقوله ذلك، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لا عقب له تعين أن يكون هذا الإبطال ضربا من الأسلوب الحكيم وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أن الأحق غير ما عناه من كلامه كقوله تعالى: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** [البقرة: 189] . وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار وهو الناقص حظ الخير، أي ليس ينقص للمرء أنه لا ولد له لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله" (ابن عاشور،1974، 577/30).

ثانيا: الفصل والوصل

أ-الفصل

كمال الانقطاع بين "فصل لربك وانحر و إن شانئك هو الأبتر"حيث فصل بين الجملتين لحصول تباين تام، لاختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى، كقوله تعالى: **وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** [الحجرات: 9]، والجملة قد تكون " استئنافا ابتدائيا أو تعليلا لحرف إن إذا لم يكن لرد الإنكار لأنه يكثر فيه إفادة التعليل كما في قوله تعالى: **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** [البقرة: 32] (ابن عاشور، 1974،30/575، منير سلطان،د.ت، ص164).

كما نجد الفصل بضمير الغائب هو في قوله:إن شانئك هو الأبتر، وضميرِ الفَصْلِ هنا مؤذن بالاختصاصِ، كما في قوله تعالى: **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** [الشعراء :220](السمين الحلبي، د.ت، 129/11).

ب-الوصل

جاءت الفاء في قوله: فصل لربك، فهي تفيد التعقيب والتسبيب لأن الإنعام سبب للشكر والعبادة، أي:"تَسَبَّبَ عن هذه المِنَّةِ العظيمة وعَقَبها أَمْرُك بالتخَلِّي لعبادةِ المُنْعِمِ عليكَ وقَصْدِك إليه بالنَّحْرِ، لا كما تفعلُ قُرَيْشٌ مِنْ صَلاتِها ونَحْرِها لأصنامِها"(السمين الحلبي، د.ت، 128/11) ، ثم ذكر الرازي أنها سببية من وجهين: سببية العبادة أي: لما أنعمنا عليك بهذا الخير الكثير وجب عليك الاشتغال بالعبودية، وسببية اللامبلاة في قولهم:هو الأبتر أي: كأنه قال بسبب هذا الإنعام فاشتغل بالطاعة ولاتبال بهذيانهم، والحاصل أن مقتضى الفاء هنا إشارة إلى وجوب الاشتغال بالطاعة(الرازي، 1996، 32/319).

كما أنه وصل بين جملتي "فصل لربك وانحر" بالواو -التي تفيد الجمع والتشريك بإطلاق- لاتحادهما إنشاء لفظا ومعنى، مع وجود المناسبة بينهما وفي

الجمع بينهما للدلالة على أن الشكر قسمان: قسم لله وقسم لعباده، كقوله تعالى: **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** [الأعراف:31]، ويسمى التوسط بين الكمالين(منير سلطان، د.ت،ص166).

ثالثا: الإيجاز

أ-حذف الموصوف في الكوثر

لقد حذف الموصوف في قوله: "إنا أعطيناك الكوثر"، ولم يقل مالا كوثرا أو ذرية كوثرا ونحوه مما يدخل في مجال العطاء، بل فضل إطلاق اللفظ ليشمل عموم الخير فلا يقيد بشيء معين(السامرائي،2002، 83/1)، قال السمين الحلبي:"حَذْفُ الموصوفِ بالكَوْثَر؛ لأنَّ في حَذْفِه مِنْ فَرْطِ الشِّياعِ والإبهامِ ما ليس في إثباتِه"(السمين الحلبي، د.ت، 128/11).

وقال الألوسي:"وفي حذف موصوفه ما لا يخفى من المبالغة "(الألوسي، 1415، 480/15).

ب-حذف متعلق الفعل في الكوثر

حذف متعلق الفعل في قوله:انحر، و المفترض أن يقول:انحر له، فحذف اكتفاء بما قبله لأن المتعلق الأول يغني عن الثاني وهو مفهوم من المعنى، أن الصلاة أهم من النحر فجعل المتعلق بما هو أهم، وأن الصلاة عبادة دائمة لله أنا النحر فقديكون للعبادة ولغيره، وكان مقتضى الظاهر قوله:فصل لنا لكن عدل إلى الاسم الظاهر لأنه يوجب عظمة ومهابة الاكتفاء في قوله: وانحر(السمين الحلبي، د.ت، 128/11، السامرائي، 2002، 91/1، الهرري، 2001، 381/32).

قال ابن عاشور:" وعطف وانحر على فصل لربك يقتضي تقدير متعلقه مماثلا لمتعلق فصل لربك لدلالة ما قبله عليه كما في قوله تعالى: **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ** [مريم: 38] أي: وأبصر بهم، فالتقدير: وانحر له. وهو إيماء إلى إبطال نحر المشركين قربانا للأصنام"(ابن عاشور، 1974، 30/574-575).

رابعا: الإطناب

الاعتراض في قوله:"فصل لربك"، "والفاء للتفريع على هذه البشارة بأن يشكر ربه عليها، فإن الصلاة أفعال وأقوال دالة على تعظيم الله والثناء عليه وذلك شكر لنعمته.

وناسب أن يكون الشكر بالازدياد مما عاداه عليه المشركون وغيرهم ممن قالوا مقالتهم الشنعاء: إنه أبتر، فإن الصلاة لله شكر له وإغاظة للذين ينهونه عن الصلاة"(ابن عاشور، 1974، 30/573-574).

4.3 خصائص الصور البيانية في السورة

أولا: الاستعارة

الاستعارة التصرحية في قوله: "هوالأبتر"، فقد استعار كلمة الأبتر للمقطوع الخير على سبيل الاستعارة التصريحية، لتشابههما في أن كلا يوصل إلى المطلوب، فالمستعار له فيها محققا حسا بأن كان اللفظ منقولا إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية، قال محي الدين:" فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس به أدقّ انحراف قد يخرجه عن حدود الاستقامة لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وإن كان متعاليا عن الأمكنة لكن العبد الطالب الوصول لا بد له من قطع المسافات، ومس الآفات، ليكرم الوصول والموافاة".

والأبتر تعبير يغلب على المقطوع ذنبه من الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيها بالدابة المقطوع ذنبها تشبيه المعقول بالمحسوس، فهو استعمله على الاستعارة من باب تشبيه متخيل بمحسوس، أي: تشبيهه بالدابة المقطوع ذنبها لأنه قطع أثره في تخيل أهل العرف(ابن عاشور، 1974، 30/576).

قال الألوسي:" وأصل البتر القطع وشاع في قطع الذنب وقيل لمن لا عقب له أبتر على الاستعارة شبه الولد والأثر الباقي بالذنب لكونه خلفه فكأنه بعده وعدمه بعدمه"(الألوسي، 1415، 481/15).

ثانيا: التعريض

التعريض في سورة الكوثر في قوله:"فصل لربك"؛ حيث أفادت اللام تخصيص الله بالصلاة دون غيره وفي ذلك تعريض بالمشركين بأنهم يصلون للأصنام والأوثان بالسجود لها والطواف حولها(ابن عاشور، 1974، 574/30)، قال السمين الحلبي:" التَّعْريضُ بمَنْ كانَتْ صلاتُه ونَحْرُه لغيرِ اللَّهِ تعالى"(السمين الحلبي، د.ت، 128/11).

5.3 خصائص التحسين البديعي في السورة

أولا: البديع اللفظي

أ- حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال

أحسن الابتداءات ماناسب المقصود من الكلام والذي يطلق عليه براعة الاستهلال، وهو أن يكون مطلع القصيدة أو الكلام دالا على غرض وقصد المتكلم بإشارة لطيفة غير مصرح بها، قال صدر الدين بن معصوم الحسيني وقد استهل بديعيته بقوله:"

حَسُنَ اِبْتَدَائِي بِذِكْرِي جِيرَةَ الحَرَمِ لَهُ بَرَاعُةُ شَوْقٍ يَسْتَهِلُّ دَمِي

قال أهل البيان، من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع، وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحتها مبنيٌ، وأوضحها معنىً وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت فواتح السور من القرآن المجيد على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء وغير ذلك"(ابن معصوم، د.ت، ص3).

فحسن الابتداء وبراعة المطلع في سورة الكوثر إذ ابتدأها بحرف إن الجاري مجرى القسم في التأكيد، ثم أعقبه بصيغة الفعل الماضي مؤذنا ومشعرا بتحقق وقوع ذكل العطاء، "فكيف إذا أخرجه في صيغة مبالغة فكيف إذا كان في مظهر العظمه، فكيف إذا بنيت الصيغة على الواو الذي له العلو والغلبة فكيف إذا أتت إثر الفتحة التي لها من ذلك مثل ذلك بل أعظم، كان المعنى: أفضنا عليك وأبحناك من كل شيء"(البقاعي، د.ت، 288/22) ، فقد اشتمل الكلام على بشارة للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه عطاء مفرط الكثرة، والكلام مسوق مساق البشارة وإنشاء العطاء لامساق الإخبار بعطاء سابق(ابن عاشور، 1974، 572/30).

قال السمين الحلبي:"دلالةُ استهلالِ السورةِ على أنه إعطاءٌ كثيرٌ من كثير"السمين الحلبي، د.ت، 128/11).

ثانيا: البديع المعنوي

أ-المطابقة

الطباق الحاصل بين أول السورة وآخرها فالكوثر الخير الكثر، والأبتر انعدام الخيركليا، وهذا من طباق الترديد فهو؛ إيراد آخر الكلام المطابق على أوله، فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأعجاز على الصدور، كقول الأعشى(الأعشى، 1983، ص251-262):

لا يَرْقَعُ النَّاسُ ما أَوْهَى ولَوْ جَهَدُوا طُولَ اَلحْيَاةِ ولا يُوهُونَ ما وَقَعُوا

قال الهرري:"المطابقة بين أول السورة وآخرها يعني بين: "الْكَوْثَرَ" و "الْأَبْتَرُ"، فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع عن كل خير، فهذه السورة مع وجازتها جمعت فنونًا من البلاغة والبيان والبديع"(الهرري، 2001، 387/32).

ب- المذهب الكلامي

و المذهب الكلامي:هو: " أن يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى خصمه، بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة"(ابن حجة الحموي، 2004، 364/1) ، وهو أنواع، منه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة.

وفي قوله تعالى:"**إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَر، فصل لربك وانحرَ**"، فقد تضمنت الآيتين نتيجة من مقدمتين صادقتين، وذلك أن عطية الكوثر تعدل جميع العطايا وإنما قلنا ذلك لأن الشكر على مقادير النعم، وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام بمقابلة هذه النعمة بجميع العبادات شكرا عليها، فكان الأمربالصلاة الجامعة لكثير من العبادات، ثم أتبعه بالنحر الذي لا يخلو من أن يراد به الحج الجامع لبعض العبادات، فما تضمنته هاتان الآيتان، على قصرهما، من الإشارة التي دلّت بألفاظها القليلة على معان، لو عبّر عنها بألفاظها الموضوعة لها بطريق البسط لملأت الصحائف والأجلاد(محمود صافي، 1418، 414/30).

4.خاتمة:

تمّ بحمد الله وحُسن عونه هذا البحث؛ الذّي تمحور موضوعه حول **الخصائص البلاغية في سورة الكوثر-دراسة وصفية تحليلية-** الذّي توصّلنا من خلال دراسته إلى النّتائج التاليّة:

أولا: نتائج القسم النظري

1-أن سبب النزول يلعب دور مهما في تفسير الآية وتوجيه مضمونها.

2-أن لبعض سور القرآن عدة تسميات منها مايشتمل على معنى السورة أومقاصدها أوموضوعاتها.

ثانيا: نتائج القسم التطبيقي

1-تميز النظم القرآني في سورة الكوثر بدقة انتقاء الألفاظ وحسن اختيارها بحيث إن غير أوبدل مكان واحدة منها لاختل النظم وفسد.

2-إن المظاهر الصوتية في الكوثر تتجلى في تعاضد أصوات الحروف ومخارجها ومقاطعها وإيقاع الكلمات وتآلفها وانسجامها وينتقل هذا التناسق والتناغم الإيقاعي الداخلي إلى الجملة الواحدة ثم إلى ترابط الجمل بعضها ببعض، فتتعانق الألفاظ والمعاني في هذا التركيب النظمي لتبرز الصورة بدقة متناهية وبلاغة عالية.

3-إن ألفاظ القرآن في سورة الكوثر باختلاف مادتها وصيغتها أكثر تحملا للمعاني العظيمة والمتباينة التي اقتضاها السياق فدلت على المقصود بأتم معنى وأجل مبنى.

4- إيثار التعبير بصيغة الماضي ثقة وتفاؤلا بتحقق المدعو به.

5- تنوع الجملة القرآنية في السورة بين الخبرية والإنشائية ليدل على مراعاة حال المخاطبين بحسب ماااقتضاه المقام.

6- التعبير بأساليب القصر لمافيه من سمة إثبات المعنى ونفي ماسواه، حيث يعتبر وسيلة لتقرير القضايا وتأكيدها بمختلف مواضيعها.

7- التعبير بالالتفات الضميري في السورة تنشيطا لذهن السامع وتحريكا لهمته.

8_ أسهم الوصل والفصل في إبراز الاتساق والانسجام بين أجزاء الجمل في السورة.

9- التعبير بإيجاز الحذف الذي يكمن سره في لذة تقديره واستنباطه ومحاولة معرفة كنهه وماهيته.

10-أسهم الإطناب في توكيد المعنى وتقريره وإبرازه في صورة فنية بليغة

11-التعبير بالاستعارة التصريحية دل على بساطة ووضوح المعنى في جمل السورتين.

12- أسهم التعريض بأسلوبه التعبيري غير المباشر في تصوير المقصود بأتم معنى وأجل مبنى.

13-من أهم ما تميزت به السورة حسن الابتداء وبراعة الاستهلال فقد كان افتتاح الخطاب القرآني فيهما ذو مطلع بديع وافتتاح جليل.

14- التعبير بالمحسنات المعنوية كالطباق وذلك لأن تصوير المعنى عن طريق حركة المتضادات يجعل المعنى آكد في النفس.

وما لفت انتباهي خلال القيام بهذا البحث بعض النقاط المهمة التي تجدر الإشارة إلى الاهتمام بها والعناية بدراستها، لذا أتوجه إلى الباحثين من بعدي بهذه التوصيات، والتي تمثلت فيمايلي:

1-بيان الخصائص البلاغية لكل سورة في القرآن الكريم.

2-الموازنة والمقارنة بين هذه الخصائص البلاغية.

3-بيان أثر الخاصية في توجيه المعنى وتفسيره .

4-إحصاء التنوع البلاغي الحاصل بين سور القرآن في أساليبه وصوره.

5. قائمة المراجع:

الكتب:

ابن الملقن.2004. *البدر المنير*،ط1.السعودية: دار الهجرة للنشر والتوزيع،

Ibn al mogakin, al badr-almonir

ابن جني، أبو الفتح عثمان. د.ت. *سر صناعة الإعراب*.

Ibn jini,sir-sinaat aliarab

ابن حجة الحموي.2004. *خزانة الأدب وغاية الأرب* .بيروت: دار الهلال

Ibn haja, khizant-aladab

ابن خالويه.1941. *إعراب ثلاثين سورة*. مصر: مطبعة دار الكتب المصرية.

Ibn khalawih,iaarab-thalathin sora

ابن عاشور.1984. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر .

Ibn achour,atahrir wa tanwir

ابن عطية.1422. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*،ط1.بيروت:دار الكتب العلمية

Ibn atiya,al moharar al wajiz

ابن فارس، مقاييس اللغة،ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، س1979م

Ibn faris,macayis alogha

أبو السعود. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*.بيروت: دار إحياء التراث العربي

Abou saaud,al aacl asalim

أحمد مختار.2008. *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1. عالم الكتب

Ahmed mokhtar,moaagam al logha

الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى.1983. *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*،ط3.بيروت: دار الآفاق الجديدة

Achamantari,achaar achoaara

الألوسي.1415. *روح المعاني*،ط1.بيروت: دار الكتب العلمية

Alosi,roh al maani

البقاعي.د.ت. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*.القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

Al bika ai, nadm adorar

الترمذي.1975.*السنن*، ط2. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

Atarmidi,asonan

الجاحظ.1423.*البيان والتبيين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال

Aljahid,al bayan wa tbyin

حاشية الدسوقي على مختصر المعاني.بيروت: المكتبة العصرية

Qdosoki,mokhtasar al maani

الحجازي، محمد محمود.1413.*التفسير الواضح*،ط10.بيروت: دار الجيل الجديد

Al hijazi,atafsir al wadih

الخليل.د.ت. *العين*. دار ومكتبة الهلال

Alkhalil, alaayn

الداني.1994. *البيان في عد آي القرآن*،ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث

Adani,albayan fi aadi iy alquran

ديوان امرئ القيس.2004.ط2. بيروت: دار المعرفة – بيروت

Imrii al cays,adiwan

الرازي.1996. *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*، ط1. دار: أطلس للنشر والتوزيع

Arazi,mafatih al ghayb

الزحيلي.1418. *التفسير المنير*،ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر .

Azohayli,atsir al monir

السامرائي.2002. *على طريق التفسير البياني*. جامعة الشارقة

Asamori,aala tharik atfsir albayani

السبكي.2003. *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*،ط1.بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر

Asoboki,aaros al afrah

السمين الحلبي.د.ت. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. دمشق: دار القلم

Asamin al halabi, ador al mason

السيوطي.1974. *الإتقان في علوم القرآن*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

Asoyothi,alitcan

شرح الكفراوي على الأجرومية. دار الفكر للطباعة والنشر

Alkfrawi,charh al ajromiya

الشوكاني.1414. فتح القدير،ط1.دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب

Achawkani,fat al kadir

الصابوني.1997. *صفوة التفاسير*،ط1.القاهرة: دار الصابوني

Asaboni,safwat atafasir

عباس حسن. *النحو الوافي*،ط15. دار المعارف

Aabas hasan,anahw alwafi

عتر، نور الدين.1993. *علوم القرآن الكريم*،ط3. دمشق: مطبعة الصباح.

Aitr,olom al quran

محمود بن عبد الرحيم صافي.1418. *الجدول في إعراب القرآن*،ط4.دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان

Mhmod safi,al jadwal fi iaarab al quran

مسلم. د.ت. *صحيح مسلم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

Mslim, asahih

مناهج جامعة المدينة العالمية .*د.ت. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم*.

Al iaajaz al loghawi

منير سلطان. *الفصل والوصل في القرآن الكريم*،ط2. الاسكندرية: منشأة المعارف

Mnir salthan,alfasl wa al wasl

الميداني.1996.*البلاغة العربية*،ط1.دمشق: دار القلم

Al maydni,al blagha al arbiya

الهرري.2001. *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*،ط1.لبنان: دار طوق النجاة.

Al harari, tafsir hadaik aroh wa arayhan